

دراسة عن كتاب "الأجبية" القبطية

إعداد: القس باسيليوس صبحي



مدرسة الإسكندرية

دراسة عن كتاب "الأجبية" القبطية

مقدمة

"الأجبية" ذلك الكتاب الصغير الحجم الكبير الأهمية، الأوفر حظاً من حيث الإستعمال الليتورجي، كهنوتياً وشعبياً، والأقل حظاً في مجال الدراسة والبحث. ولا غرو في ذلك، فهو مع صديقه الحميم كتاب "الإبصلمودية المقدسة" يكادا يكونا الكتابان الوحيدان من الكتب الطقسية القبطية اللذان من حق المؤمن البسيط (العلماني) أن يتمم بهما عبادته لله، حتى في عدم تواجد أي عنصر كهنوتي.

كما أن كتاب "الأجبية" هو الكتاب الطقسي الأكثر نشرًا وطباعةً والأقل ثمنًا بين أقرانه من الكتب الليتورجية والكنسية، خصوصاً في هذه الأونة الأخيرة بعد أن صار هو الكتاب الطقسي الوحيد المستخدم في كل اجتماعات الشباب والخدام، أو أي نشاط كنسي آخر سواء بمدارس التربية الكنسية أو الاجتماعات المتعددة. ومن ثم صار هذا الكتاب هو أكثر الكتب الطقسية القبطية ترجمة إلى اللغات المتنوعة. كما صار يُوزَع في السنوات القليلة الماضية مع وقوع الدعوى لبعض التذكارات الخاصة بالمنتقلين، مثل تذكارات الأربعين أو السنة ... إلخ.

لذلك حينما شُرُفت بعمل دراسة أكاديمية عنه بالخارج، وجدت نفسي أمام زخم شعبي ثمين، وتراث آبائي عميق، أسبح في بحر من الغنى الروحي واللاهوتي، فتحيرت من أين أبدأ، وإلى أين سأنتهي يا تُرى؟

فلما أخذت بركة لقاء قداسة البابا شنودة الثالث أكثر من مرة أثناء فترة الدراسة، وخصوصاً للقاء الخاص والطويل مساء يوم الإثنين الموافق ١٢ مايو سنة ٢٠٠٣م، وأكد علىّ قداسته على ضرورة أن تكون الدراسة أكاديمية بالدرجة الأولى، وأبعد من أن تكون مجرد تأملات روحية حول بعض المزامير أو القطع. وبالتالي كانت هذه الدراسة المتواضعة، مُقدِّماً إياها ذبيحة حب ووفاء، لمجرد سد لديون كثيرة علىّ لأمي الحبيبة، كنيسة القبطية المجيدة.

وفيما يلي سأقوم بترجمة لبعض فصول هذه الرسالة (في عدة مقالات تُشر تباعاً) التي قدمتها لقسم تاريخ العبادة المسيحية، بقسم اللاهوت بكلية اللاهوت، بالجامعة الوطنية بأثينا باليونان، من اللغة اليونانية الحديثة إلى العربية. وقد أعانني الله وحرزت بها درجة الدكتوراه في العلوم اللاهوتية في يوم الجمعة الموافق ١٧ يونيو ٢٠٠٥م.

عنوان الكتاب*

من البديهي أن يكون لكتاب "الأجبية" القبطي عنوان أو تسمية ثابتة على مدار التاريخ، ولكن الواقع غير ذلك، فمن الثابت تاريخياً أن لهذا الكتاب أكثر من تسمية وعنوان عُرف بها على مدار الزمن، سواء من الناحية التاريخية أو العملية أو التطبيقية. فاسمه التاريخي كما تذكره لنا النصوص الأبائية القديمة مختلف عن الاسم الذي ورد بأكثر من مخطوط كعنوان للكتاب. ففي المخطوطات القديمة التي تحتوي نص الصلوات يرد العنوان طويل ومُعقد نوعاً ما، فأختصر مع مرور الأيام في كلمة واحدة

* هذا النص هو ترجمة بتصرف عن اللغة اليونانية للفصل الأول المعنون بـ (الأسماء المتنوعة للكتاب)، من الباب الأول المعنون بـ (التعريف بالكتاب)، من الجزء الأول من رسالة الدكتوراه السابقة الذكر.

ليصير العنوان عملياً. بينما نجد أن كُتُب التراث الطقسي القبطي حينما تصف استخداماته العملية، تُصِفُه بتسمية أخرى تتفق مع الجانب التطبيقي للكتاب... وهكذا صار للكتاب أكثر من عنوان. وفيما يلي نستعرض هذه التسميات:

(١) العنوان الذي ورد للكتاب باللغة القبطية (اللهجة البحرية) بالعديد من مخطوطات العصور الوسطى، هو: **ⲛⲓⲱⲗⲏⲗ ⲛⲁⲡⲓⲉⲃⲟⲟⲩⲩ ⲛⲉⲙ**، أي بالعربية: الصلوات النهارية والليلية، وذلك كما ورد بالمخطوط ٤٠ قبطي بالمكتبة الرسولية الفاتيكانية^(١)، ذلك المخطوط الذي طبعه الأسقف (القبطي الكاثوليكي) "أثناسيوس" روفائيل ميخائيل طوخي سنة ١٧٥٠م، حينما كُلف من إدارة الكنيسة الكاثوليكية المنضم إليها حديثاً بالفاتيكان، بطبع الكتب الطقسية للكنيسة القبطية، وذلك ضمن مجموعة العمل التي شكلتها الكنيسة المذكورة لطباعة الكتب الطقسية لكل الكنائس الشرقية وليس للكنيسة القبطية فقط.

علماً بأن هذا المخطوط الذي يرجع لسنة ١٠٥٠ ش (الموافقة لسنة ١٣٣٤م)، باللغتين القبطية (اللهجة البحرية) والعربية، قد أختاره الأسقف طوخي بعناية، حيث وجد فيه أنموذجاً لهذا النص الليتورجي القبطي دون سواه من المخطوطات، مما دفعه لنسخ هذا المخطوط أكثر من مرة^(٢).

^١ Adulphus Hebbelynck & Arnoldus van Lantschoot, *Codices Coptici Vaticani Barberiniani Borgiani Rossiani*, tomus I, Vaticana 1937, p. 211.

^٢ على سبيل المثال: المخطوط ٦ قبطي من مكتبة بورجانا بالفاتيكان، تاريخه: ١٦ كانون الأول (ديسمبر) الذي هو كيهك بسنة ١٧٣٤ مسيحية (كذا)، والمخطوط ١١ قبطي بالمكتبة نفسها، تاريخه كما ورد بنهاية صلاة باكر: آخر شهر نيسان (أبريل) سنة ١٧٢٩ مسيحية (كذا). مع العلم أن هذا المخطوط الأخير يُعتبر مزج لنصي المخطوطين ٤٠ قبطي بالمكتبة الرسولية الفاتيكانية، و١٧ قبطي بمكتبة بورجانا، راجع:

Arnoldus van Lantschoot, *Codices Coptici Vaticani Barberiniani Borgiani Rossiani*, tomus II, Pars Prior Codices Barberiniani orientales 2 et 17 Borgiani Coptici 1-108, In Bibliotheca Vaticana 1967, p.35-36, 65-66.

ومن ثم صارت هذه الطبعة هي الأولى في التاريخ لهذا الكتاب الطقسي القبطي "الأجبية"، ولكنها لم تكن الأخيرة^(٤). ومن ثم كان هذا هو العنوان الأول الذي وصلنا لهذا الكتاب، طويلاً نوعاً ما كما سبق وأشرنا. ومع ذلك حينما طُبِع المخطوط خرج علينا طابعه بعنوان جديد باللغة القبطية (اللهجة البحرية)، هو: **ΟΥΧΩΜ ΗΝΤΕ ΝΙΕΥΧΗ ΜΠΙΕΘΟΥ ΝΕΜ** ، أي بالعربية: كتاب الصلوات النهارية والليلية السبع^(٥) ، وهو العنوان الذي لا تزال العديد من دور الطبع الحالية حريصة على أن تُسجّله على صدر الكتاب ولو في ورقة الغلاف الداخلي للكتاب، بينما يتصدر الغلاف الخارجي العنوان المختصر والأكثر شيوعاً وانتشاراً، وهو "الأجبية".
 علماً بأن التغيير الذي أحدثته طبعة الأسقف طوخي في هذا الكتاب ليس فقط في العنوان، بل إمتد ليشمل العديد من النصوص^(٥). أما من جهة التغيير في العنوان، فقد أضاف على عنوان المخطوط السابق الذكر كلمتي **ΟΥΧΩΜ** (كتاب)، و **ΗΝΤΕ** (السبعة)، وغيّر كلمة **ΝΙΩΛΗΛ** إلى **ΝΙΕΥΧΗ** وكلاهما بمعنى الصلوات، ولكن أولهما من أصل قبطي صرف وردت باللغات الصعيدية والفيومية والبحيرية^(٦)، أما ثانيهما فهي كلمة من أصل يوناني دخلت للقبطية في مجال الإستخدامات الطقسية.

^٤ لدراسة عشرات الطباعات للكتب الطقسية القبطية أشير على الفارئ الكريم مراجعة بعض الأبحاث القيمة، مثل:

- Malak Hanna, «Les Livres Liturgiques de L'Église Copte», *Mélanges Eugène Tisserant*, Studi e Testi 233, vol. III, Orient Chrétien, 2^{ème} Partie, Città del Vaticano, Biblioteca Apostolica Vaticana 1964; H. Brakmann, «Typologie des manuscrits arabes», dans *Les manuscrits liturgiques, cycle thématique 2003-2004 de l'IRHT*, O. Legendre et J.-B. Lebigue, dir., Paris, IRHT, 2005 (*Ædilis*, Actes, 9).

^٥ راجع صورة الغلاف الخارجي لهذا الكتاب والصفحة الأولى منه في نهاية هذا المقال.

^٥ راجع الفصل الثاني المعنون بـ (وصف الطبعة الأولى) من الباب الخامس المعنون بـ (طباعات الكتاب)، من هذه الرسالة.

^٦ W. E. Curm, *A Coptic Dictionary*, At the Clarendon Press, Oxford 1939, p. 559.

(٢) ونعود للعنوان المختصر والأكثر شيوعاً وانتشاراً، وهو "الأجبية"، تلك الكلمة التي هي تعريب للكلمة القبطية $\alpha\chi\pi$ أي "ساعة" بالعربية كما هو معروف، والتي لم ترد في أي من العنوانين السابقين، أي سواء عنوان المخطوط أو عنوان طبعة الأسقف طوخي. فهنا يتبادر للذهن السؤال البديهي: من أين أتى ذلك العنوان المختصر؟ ولماذا هذه الكلمة بالذات دون غيرها؟ ألم يكن من المنطقي أن يكون العنوان المختصر مُستوحى من كلمة من كلمات العنوان الكبير، فيكون العنوان المختصر مثلاً: "كتاب الصلوات" أو "السبع صلوات" ... إلخ.

ولكن كون العنوان المختصر وصلنا بهذه الصورة، مختزلاً في هذه الكلمة (ساعة)، هذا يقودنا للتفكير في أن عنوان الكتاب قديماً كان مختلفاً عن عنوان المخطوط الفاتيكانى السابق الذكر هذا من ناحية، وكان يشمل كلمة "ساعة" من ناحية أخرى.

وبمراجعة كتب التراث الآبائى الرهبانى القديم^(٧) - تلك البيئة التي نشأ فيها الكتاب وترعرع - وجدنا ضاللتنا المنشودة. حيث تذكر معظم هذه المصادر أن الرهبان كانوا يقومون للصلاة في ساعات محددة، مثل: "وقت الساعة الثالثة"، "الساعة السادسة" و "الساعة التاسعة". ثم أكدّه عنوان أقدم مخطوط حفظ لنا النص الأقدم لهذه الصلوات، وهو المخطوط M574

^٧ تلك الكتب المهمة مثل: كتاب التاريخ اللوزياكي للأسقف بلاديوس، الذي وضعه حوالي سنة ٤٢٠ م، بعد أن زار بعض التجمعات الرهبانية في العقد الأخير من القرن الرابع (حوالي ٣٩٠-٣٩٩م)، وتعد من أقدم وأفضل طباعته طبعة Butler، الصادر من جامعة Cambridge، سنة ١٨٩٨، ثم ترجمة الكتاب بواسطة Norman Russell، سنة ١٩٨٠. وكتاب القديس يوحنا كاسيان "المعاهد" Institutions الذي ألفه فيما بين سنة ٤١٧-٤٢٥ م، بعد حوالي ٢٠ سنة من مغادرته لبراري مصر التي عاش فيها فترة من الزمن. وتعد من أفضل طباعته طبعة Jean-Claude Guy ضمن سلسلة Sources Chrétiennes، أي "أصول المسيحيين"، التي تشرف على إصدارها الجامعة الكاثوليكية بمدينة ليون الفرنسية. وسيرة القديس العظيم الأنبا باخوميوس أب الشركة ... إلخ، راجع هذه المصادر والإشارات الواردة بها عن موضوع بحثنا في الفصل التالي من هذا البحث.

من مكتبة الثري الأمريكي بيريوند مورجان بنيويورك، والذي يرد به عنوان تلك الصلوات بالقبطية (الصعيدية) هكذا:

ϸΥΝ Θ̄Ω ΝΑΙ ΝΕ ΝΩΨ ΕΒΟΛ ΜΠΝΑΥ ΝΡΟΥΞ ΜΝ ΝΑ
ΤΕΥΨΗ ΜΝ ΠΝΑΥ ΝϸΥΝΑΓΕ ΜΝ ΝΕΥΝΟΟΥΕ ΜΠΕΞΟΥ
ΕΤΨΩΕ ΕΨΛΗΛ ΝΞΗΤΟΥ

أي: "باسم الله، هذه صلوات (حرفياً: كلمات) الليخنيكون (إيقاد المصاييح) والليل ووقت الاجتماع وساعات اليوم التي بها ينبغي أن نصلي"^(٨).

وهذا المخطوط بما يحويه من عنوان، هو الأثر الوحيد الذي بقى لنا من العصور الغابرة، كدليل يُثبت وجود كلمة "ساعة" في العنوان الأصلي للكتاب. مما يُثبت دقة وأمانة التقليد القبطي الذي حفظ كلمة "ساعة" في العنوان الشفهي والمتداول على الألسن، رغم أنها لم ترد في العنوان الأطول الذي ورد بكثير من مخطوطات العصور الوسطى، ومن ثم بالكتب المطبوعة.

وعلى الرغم من ذلك فالعنوان المختصر الذي وصلنا في كلمة واحدة: **αἴτια** "أجبية"^(٩)، وصلنا متشعباً بصيغة عربية، فالكلمة بدون أداة تعريف، وأيضاً بدون أداة تكثير بحسب قواعد اللغة القبطية^(١٠)، ولكن مجرد تجريدتها من أداة التعريف هذا يعني أنها جاءت نكرة، وذلك بحسب

^٨ علماً بأن هذا المخطوط يرجع للقرن التاسع الميلادي، وبالتحديد مؤرخ بسنة ٦١٤ للشهداء (٢٩ أغسطس ٨٩٧ - ٢٨ أغسطس ٨٩٨ م)، وهو من دير رئيس الملائكة الجليل ميخائيل، بقرية الحامولي بالقيوم، ويحوي أكثر من طقس صلاة، مكتوب باللغة القبطية (الصعيدية)، وبعض القطع مترجمة لليونانية، راجع:

Leo Depuydt, *Catalogue of Coptic Manuscripts in the Pierpont Morgan Library*, Uitgeverij Peeters, Leuven 1993, p. 118-119.

^٩ من أوائل وأشهر المخطوطات التي ورد بها هذا عنوان بهذه الصورة قبطياً وعربياً، مخطوط من دير أنبا مقار، نشره عنه بحث العالم Evelyn-White سنة ١٩٢٦، راجع: Curm, op. cit., p. 777-778.

^{١٠} بحسب قواعد اللغة القبطية أداة التكثير للمفرد بنوعيه (المنكر والمؤنث): **ⲛⲓ**، وأداة التعريف للجمع بنوعيه: **ⲛⲓ**.

قواعد لغة الضاد، مما يُثبت أن هذا العنوان بهذه الصورة صار معروف به الكتاب في فترة ما من الزمان متأخراً نوعاً ما عن تاريخ تأسيس فكرة هذا الكتاب ... هذا من جانب، ومن جانب آخر، إضافة المقطع الأخير في الكلمة $\alpha\chi$ ، وهي زيادة غير معروفة الأصل.

ومما هو جدير بالذكر أن الكلمة القبطية $\alpha\chi\pi$ وردت في سلالم (قواميس) اللغة القبطية بأكثر من صورة مثل: $\chi\pi$ ، $\chi\pi$ باللهجة الصعيدية، أما في اللهجة البحيرية فهي ترد هكذا: $\alpha\chi\pi$ أو $\alpha\chi\pi\kappa\eta$. وقد فسر البعض الإضافة $\kappa\eta$ على أنها أداة النسبة^(١١)، أي أن عنوان الكتاب يكون هكذا: الكتاب المنسوب للساعات أي كتاب (السواعي).

ومن المهم أن نذكر هنا أن هذا العنوان صار عنوان الكتاب عند الكنائس التقليدية الأخرى، فعند الروم عُرف الكتاب باسم يوناني هو $\tau\omicron \Omega\rho\omicron\lambda\omicron\gamma\iota\omicron\nu \tau\omicron \text{Μεγα}$ أي "السواعي الكبير"^(١٢)، وعند الأرمن باسم جاماكيرك Jamakirk بمعنى "كتاب الساعة" (بصيغة المفرد). أما عند أختوتنا السريان فالنظام الليتورجي عندهم مختلف نوعاً ما، فالكتاب الأقرب لفكرة وتقسيم كتاب الأجبية القبطية، أي الصلاة في ساعات محددة، هو كتاب "الإشحيم" أي "البيسط"، وليس كتاب "الأشبية" كما رأى البعض، حيث أن الأخير هو عبارة عن مجموعة صلوات خشوعية من وضع بعض آباء الرهبنة، ولا يحوي مزامير، وغير مُقسَّم لساعات ...، ومن ثم فهو كتاب خاص بالرهبان فقط.

^{١١} راجع على سبيل المثال: Curm, op. cit.; اقلوديوس يوحنا لبيب، قاموس اللغة القبطية المصرية، ج ١، طبع بالمطبعة الوطنية بمصر المحمية في شهر برمودة سنة ١٦١١ للشهداء، ص ٦٩ - ٧٠.
^{١٢} من الكلمة اليونانية $\omega\rho\alpha$ بمعنى "ساعة"، أما المقطع $\omicron\lambda\omicron\gamma\iota\omicron\nu$ من الكلمة $\lambda\omicron\gamma\iota\omicron\nu$ بمعنى: قول، كلام، خطبة. والتي دخلت للغات الأوروبية التي من أصل لاتيني في شكل المقطع $\omicron\log\gamma$ بمعنى "علم".

وفي النهاية لابد أن نذكر أن هذا العنوان المختصر "أجبية"، يحمل في طياته تراث عميق، وتاريخ طويل، يشهد بأمانة ودقة التقليد القبطي.

(٣) أما العنوان الثالث، فهو ذلك العنوان الذي ورد في الكثير من الكتب المحدثه لشرح الطقوس القبطية، فهي تسميه باسم مستوحى من محتواه، فتشير عنه باسم كتاب "مزامير السواعي"، فيقال مثلاً: بعد أن تُصلى مزامير السواعي يقدم الحمل ... (١٣).

(٤) أما العنوان الرابع والأخير فهو يرد ببعض المخطوطات "الأجبية مزامير السبع صلوات" (١٤)، أو "مزامير السبع صلوات" (١٥) فقط. كما وصلتنا بعض المخطوطات الأخرى تحمل نفس العنوان مع إضافة "المقسمة على الـ ١٥٠ مزمور" (١٦)، أو بالإضافة إلى "الكاتستيمات" (١٧)، أو "تساويح الأنبياء" (١٨) ... إلخ

وهذه العناوين الأخيرة تقودنا إلى سؤال بديهي ألا وهو: هل كان محتوى كتاب "الأجبية" القبطية عبر العصور ثابت أم كان يتغير من عصر لآخر أو

¹³ Hans Quecke, *Untersuchungen zum Koptischen Stundengebet*, Publications de l'Institut Orientaliste de Louvain, Louvain 1970, p. 14; Malak Hanna, op. cit., p. 17-18, 31.

¹⁴ على سبيل المثال: المخطوط ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٨-١٤٢، ١٤٦-١٧٩، ١٨١، ١٨٤ طقس بمكتبة دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية، بالبحر الأحمر. بهذه المناسبة لابد أن أسجل شكري العميق لنيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس أسقف ورئيس الدير المذكور، الذي سمح لي بدراسة مخطوطات الأجبية بمكتبة الدير أثناء فترة إعدادي لهذه الرسالة، وكذلك لا أنسى مساعدة الراهب القس تادرس الأنطوني أمين مكتبة المخطوطات وقتها.

¹⁵ على سبيل المثال: المخطوط ١٤٣ - ١٤٥ طقس بمكتبة دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية، بالبحر الأحمر.

¹⁶ على سبيل المثال: المخطوط ١٨٠ طقس بمكتبة دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية، بالبحر الأحمر.

¹⁷ على سبيل المثال: المخطوط ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦ طقس بمكتبة دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية، بالبحر الأحمر.

¹⁸ على سبيل المثال: المخطوط ٦٨٨، ٧٠٦ طقس بمكتبة دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية، بالبحر الأحمر.

من منطقة لأخرى؟ والرد على هذه التساؤلات، سيكون موضوع مقالتنا القادمة.



صورة الغلاف الخارجي
لكتاب الأجبية طبعة الأسقف
طوخي ١٧٥٠م



صورة الورقتين الأولى والثانية من طبعة الأسقف طوخي ١٧٥٠م

د. ماجد صبحي

باحث بالمركز الثقافي القبطي

hamaged@alexandriaschool.org